شرح
رسالة العبودية

المجلس الأول

فضيلة الشيخ
عبد اللّه الغنيمان
-حفظه الله-

شرح

رسالة العبودية

المجلس الأول

لفضيلة الشيخ

عبد اللّه الغنيمان

-حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

على سيد ولد آدم أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللسامعين برحمتك يا أرحم الراحمين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في رسالة العبودية: [بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم وَبِه نستعين إِن الْحَمد لله نحمده ونستعينه وَنَسْتَغْفِرهُ ونعوذ بِاللَّهِ من شرور أَنْفُسنَا وَمن سيئات أَعمالنَا من يهده الله فَلَا مضل لَهُ وَمن يضلل فَلَا هادي لَهُ. وَأشْهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ وَأشْهد أَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله. أما بعد: فقد سُئِلَ شيخ الْإِسْلَام وَعلم الْأَعْلَام نَاصِر السّنة وقامع الْبِدْعَة أَحْمد بن عبد الْحَلِيم ابْن تَيْمِية رَحمَه الله عَن قَوْله عز وَجل [٢١ الْبَقَرَة] : ﴿يَا أَيهَا النَّاس اعبدوا ربكُم﴾ فَمَا الْعِبَادَة؟ وَمَا فروعها؟ وَهل مَجْمُوع الدِّين دَاخل فِيهَا أم لَا؟ وَمَا حَقِيقَة الْعُبُودِيَّة؟ وَهل هِيَ أَعلَى المقامات فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة أم فَوْقهَا شَيْء من المقامات؟ وليبسط لنا القَوْل فِي ذَلِك.

فَأجَاب رَحمَه الله: الْعِبَادَة هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة. فَالصَّلَاة وَالزَّكَاة وَالصِّيَام وَالْحج وَصدق الْحَدِيث وَأَدَاء الْأَمَانَة وبرّ الْوَالِدين وصلَة الْأَرْحَام وَالْوَفَاء بالعهود وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر وَالْجهَاد للْكفَّار وَالْمُنَافِقِينَ وَالْإِحْسَان للْجَار واليتيم والمسكين

وَابْن السَّبِيل والمملوك من الْآدَمِيّين والبهائم وَالدُّعَاء وَالذكر وَالْقِرَاءَة وأمثال ذَلِك من الْعِبَادَة.

وَكَذَلِكَ حب الله وَرَسُوله وخشية الله والإنابة إِلَيْهِ وإخلاص الدِّين لَهُ وَالصَّبْر لحكمه وَالشُّكْر لنعمه وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ والتوكل عَلَيْهِ والرجاء لِرَحْمَتِهِ وَالْخَوْف من عَذَابه وأمثال ذَلِك هِيَ من الْعِبَادَة لله. وَذَلِكَ أَن الْعِبَادَة لله هِيَ الْغَايَة المحبوبة لَهُ والمرضية لَهُ الَّتِي خَلق الْخلق لَهَا كَمَا قَالَ الله تَعَالَى [٥٦ الذاريات] : ﴿وَمَا خلقت الْجِنّ وَالْإِنْس إِلَّا ليعبدون﴾ .

وَبهَا أرسل جَمِيع الرُّسُل كَمَا قَالَ نوح لِقَوْمِهِ [٥٩ الْأَعْرَاف] : ﴿اعبدوا الله مَا لكم من إِلَه غَيره﴾ .

وَكَذَلِكَ قَالَ هود وَصَالح وَشُعَيْب وَغَيرهم لقومهم وَقَالَ تَعَالَى [٣٦ النَّحْل] : ﴿وَلَقَد بعثنَا فِي كل أمة رَسُولا أَن اعبدوا الله وَاجْتَنبُوا الطاغوت فَمنهمْ من هدى الله وَمِنْهُم من حقت عَلَيْهِ الضَّلَالَة﴾ وَقَالَ تَعَالَى [٢٥ الْأَنْبِيَاء] : ﴿وَمَا أرسلنَا من قبلك من رَسُول إِلَّا نوحي إِلَيْهِ أَنه لَا إِلَه إِلَّا أَنا فاعبدون﴾ وَقَالَ تَعَالَى [٩٢ الْأَنْبِيَاء] : ﴿إِن هَذِه أمتكُم أمة وَاحِدَة وَأَنا ربكُم فاعبدون﴾ كَمَا قَالَ فِي الْآيَة الْأُخْرَى [٥١-٥٢ الْمُؤْمِنُونَ] : ﴿يَا أَيهَا الرُّسُل كلوا من الطَّيِّبَات وَاعْمَلُوا صَالحا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عليم﴾].

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم، نحمد الله ونستعينه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا وبعد.

هذا الموضوع من أهم ما ينبغي أن يعتني به، بل لكل مسلم، لأن هذا الذي يترتب عليه سعادة المرء إذا حققه وعمل به وجاء به كما أمر الله جل وعلا به في الدنيا والآخرة، وسعادة الآخرة مرتب على سعادة الدنيا، وحقيقة السعادة في الدنيا أن يحظى المرء بعبادة الله جل وعلا ويكون عبدا لله، فتكون عبادته لله جل وعلا هي الجنة في الدنيا، كما قال الشيخ نفسه رحمه الله: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، مقصوده بهذا الحظوة بعبادة الله والتلذذ بها، وإذا تأمل الإنسان بعض النصوص التي جاءت في هذا، كقوله ﷺ: «**إن العبد إذا قام في الصلاة فإنه يناجي ربه**»، تأمل كيف مناجاة الرب جل وعلا؟ أكبر السعادة، الإنسان لو قيل له أنك سوف تناجي الأمير، استعد وصلح حالة غير حالته العادية، وغبطه الناس، فكيف إذا كان يناجيه رب العالمين؟ والعبادة كلها مناجاة لله جل وعلا، والصلاة لها خصوصية في هذا، ولهذا السؤال الذي طرح في هذه الرسالة عن معنى العبادة، والشيخ رحمه الله كما هو معلوم، كتبه نكاد نقول: أنها كلها أجوبة أسئلة، حتى الكتب الكبار مثل منهاج السنة، ومثل التعارض، وغيرهما يسأل ثم يجيب، وكان وقته كله مشغول بإرشاد الناس

والرد على المخالفين في عبادة الله جل وعلا، سواء كانت العبادة عبادة تصدر من المرء من فعل مطلوبة منه، كما في هذه الرسالة، أو عبادة تعلق بصفات الله جل وعلا وبمعرفته، فهذا أكبر ما كان الشيخ يجاهد فيه رحمه الله، ولا حاجة إلى ذكر شيء من تاريخه فهو معلوم ومعروف، ثم أنه عرف العبادة كما سبق لنا في درس الصباح، نقل هذا التعريف ابن معمر رحمه الله قال: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، كلمة مدخل التي كتبت هنا ما لها داعي، لأن هذا هو الأصل ليس مدخل، والمداخل على حسب الاصطلاحات التي توضع الآن ليست من صميم الموضوع، شيء يكون مقدمة أو مفتاح لهذا الشيء الذي سينبني هذا لا يناسب، لأن الكلام لا يناسب أن يكون مدخل، بل هذا هو الأصل وهو صلب الموضوع، فقال: العبادة هو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، ثم سار يمثل، فأول بدأ بالأعمال الظاهرة، فبدأ بالصلاة، فالصلاة والزكاة والصيام إلى آخره، هذه عبادة، ثم جاء إلى الأعمال الباطنة، قال: وكذلك حب الله، بدأ بالحب الذي هو أصل التأله، والحب يقصد به الحب الخاص، الذي يتضمن الذل والتعظيم والخضوع، أما مجرد حب فليس عبادة، ولهذا قسم العلماء الحب إلى قسمين، قسم مشترك بين الخلق، لا لوم على الإنسان فيه، الإنسان يحب ولده ويحب والده ويحب زوجته ويحب أخاه ويحب من يشاركه في العمل أو في السفر أو ما أشبه ذلك، يعني حب إلف ومودة، وتبادل منافع، وقد يكون الحب كما يسمونه

حب طبع، يعني طبعه الله على هذا، كحب الأكل للجائع والماء للظمآن، يعني حب حاجة يحتاج إليه في بدنه، وليس فيه ذل ولا خضوع، فهذا لا لوم على الإنسان فيه، ولهذا سموه حب مشتركا، خلاف ما يقول ابن حزم، فإنه أخطأ في هذا الموضوع وقال: الحب شيء واحد، فإذا أحببت الله فهو حب وإذا أحببت ابنك فهو حب، هذا خطأ فحب الله ﷻ يجب أن يتميز لأنه حب عبادة، والله ﷻ يقول: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾، فكونهم يحبونهم كحب الله، سار حب الذي يسمى حب السر، وهو الحب الغيبي، يحبه وهو غائب يخاف منه أو يرجوه، فهذا حب عبادة، لا يجوز أن يكون إلا لله ﷻ، وأما أقسام الحب الأخرى فلا ضير على المرء فيها، فالمقصود أن الحب هو أصل التأله ولهذا بدأ به وهو عمل القلب، وأعمال القلوب هي الأساس في كل عمل، فلا يمكن أن يصدر من العاقل عمل بلا ارتباط بقلبه، إنما يصدر من السكران أو النائم أو المجنون، فإذا كان عاقلا فلابد أن يبعث القلب الجوارح على العمل، ولهذا لما عرف أهل السنة الإيمان عرفوه تعريف دقيق، وتعريف الواقع يطابق لما جاء به الرسول ﷺ، فقالوا: الإيمان عقيدة وعمل، ومنهم من يفصل ويقول: الإيمان يكون في القلب ويكون في الجوارح ويكون أيضا بإتباع السنة، فهم جعلوه أمور ثلاثة يتكون الإيمان منها، كل واحدة منها جزء من الإيمان، ولابد من اجتماعها، فمنه الحب، فالحب هو الأصل والحب هو التأله، كونه يأله ربه ﷻ، ولهذا لا يجوز أن

يكون الحب فيه اشتراك حب الله فيه اشتراك في مخلوق، لهذا بدأ بـه قـال: حـب الله ورسوله، ثم يجب أن نفرق بين حب الله وحب رسوله، فحـب الرسـول ﷺ تابع لحب الله، لأن محبة الله جل وعلا خاصة بـه لأنهـا حـب تألـه وعبـادة وذل وخوف، هذه أركان العبادة، أما حب الرسول ﷺ فهو يحب لأن الله يحبـه وأمـر بحبه، وجعله سببا لإنقاذنا من العذاب، فالذي يحب ربه يتعين عليه أن يحب مـا يحبه ويكره ما يكرهه، فهذه من اللوازم، يعني مـن لـوازم الحـب وليـست هـي الحب، لهذا إذا كان الحب فيه اشتراك فهو يقال: حب مع، والحب مـع الله شرك بالله ﷻ، ولكن إذا كان الحب لله ومن أجله، بأنك تحب من يطيع الله ومن يتولى الله ويتولاه الله فهو تبع لمحبة الله ﷻ، ومحبة الرسول ﷺ تتعين ويجـب أن يكـون حبه مقدم على حب النفس فضلا عن حب الولد والوالـد والنـاس كلهـم، ثـم كذلك الخشية، والخشية قريبة من الخوف، ولكنها أبلغ منه، لأن الخشية ليـست خوف فقط، خوف يكون معه أيضا إنابة ورغبـة، خـشية الله ﷻ ولهـذا عطـف عليها الإنابة، والإنابة إليه الإنابة المقصود بها الرجوع أن ترجع إليه، والإنـسان له أعداء وله عنده صوارف وعنده أمور يحتاج إلى جهاد فيها، وهذا مـن حكمـة الله جل وعلا، الدنيا لا يتحصل عليها الإنسان إلا بعمل، والآخرة أيـضا لابـد من العمل فيها، فهذا لابد من الإنابة التي هي الرجوع إليه جل وعلا.

ثم قال: وإخلاص الدين، وهذا يشمل كل العمل، القلبـي والعمـل الظـاهري اللي يكون بالجوارح، لابد أن يكون خالصا يعني ليس فيه شائبة اشتراك للغـير،

لأن الله لا يقبل من العمل إلا من كان خالصا، والصبر لحكمه، الحكم يكون حكما شرعيا كالأمر بالصلاة والصوم والحج وأداء الزكاة وما أشبه ذلك، ويكون حكما قدري كوني، وكلاهما يجب أن يصبر عليه، والصبر كما هو معلوم أقسام ثلاثة، صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر على الأقدار التي تقع، والإنسان الذي لا صبر له لا دين له، ولكن هذه الأمور كلها لابد فيها من الاحتساب والإخلاص، والاحتساب معناه رجاء الثواب ودفع العقاب، احتسب ذلك ويرجوه من الله جل وعلا، لأنه قال: والشكر لنعمه، والشكر يكون بالجوارح باللسان وبالأركان، يعني بالعمل، والنعم لا حصر لها، فالنعم خلق الإنسان وإيجاده نعمة، وتسخير والديه نعمة، وإدرار لبن الأم نعمة، وعطفها عليه نعمة، لا حصر لنعم الله جل وعلا على العبد، وأكبرها وأعظمها أن يكون مسلما، أن يجعله الله جل وعلا مسلم، لأنه لا قوة له في ذلك، وإنما الأمر لله جل وعلا، ومن تمام هذه النعمة أن يموت على الإسلام، فإذا مات على الإسلام فقد كملت النعمة نعمته لأنه سوف يكون في الجنة، الجنة له ثمن، ثمنها عبادة الله جل وعلا، فالشكر يتطلب الثناء على المنعم باللسان، ثم استعمال النعمة في الطاعة، تثني عليه بلسانك، وكذلك بجوارحك تعمل الجوارح بطاعة الله جل وعلا واستعمالها في طاعته، وإلا يكون داخل في الكفر كفر النعمة، وكفر النعمة ليس من الكفر المخرج من الدين الإسلامي، ولكنه قد يكون طريقا إلى ذلك، والرضا بقضائه، أما الرضا ليس واجبا، وإنما

الواجب الصبر على القضاء، الرضا درجة عليا قد لا يتحصلها كل أحد، بل تكون للخاصة من المؤمنين، والرضا معناه ألا يتبرم بالشيء أو يتمنى أن يكون على خلاف الواقع، أن يكون راضيا به تام الرضا ومسلم له ومنقادا له، ولهذا نقول: هذا ليس واجبا وإنما هو فضل، إذا حصل الرضا فهو درجة عليا، وإذا لم يحصل فيجب الصبر، والصبر معناه حبس النفس على هذا الشيء، وكذلك حبس الجوارح لئلا يحدث ما يحدث هذا جهل، أهل الجاهلية الذين إذا وقعوا في مشكلة مصيبة وما أشبه ذلك يتكلم بخلاف ما يأمر الله جل وعلا به، بل بما يدل على السخط، وقد يفعل الفعل الذي يدل على ذلك من خمش الوجه وضرب شيء من البدن، أو دعوى الجاهلية، وأعظم من هذا أن يتبرم بأمر الله، أو يرى ولو في قلبه أن الله ظلمه، كما يقع لكثير من الناس نسأل الله العافية، إذا سألته عن حاله قال: أنا أصلي، وأزكي ولكن لا أدري ما الذي حصل لي، ايش معنى ذلك؟ معنى ذلك أنه يقول: إن الله ظلمه، وما يستحق هذا الشيء، وكثير من الناس إذا وقع في مصيبة قالوا: وا أسفاه فلان ما يستاهل، ليس ما يستاهل؟ ما يستاهل أن يقع في هذا، يعني أن هذا ظلم، أن الله ظلمه، فيجب أن يحفظ الإنسان نفسه في هذا، ويكون معه أدب لله جل وعلا، ويحاسب نفسه في ذلك، ويعلم أنه إذا أصيب بمصيبة ربما يكون هذا خير له، بل هو خير له على كل حال، فإن المصائب تكفر الذنوب، بشرط ألا يكون هناك اعتراض على الله جل وعلا وتسخط، وإلا تكون مصيبة على مصيبة نسأل الله العافية، والمقصود أن

الرضا ليس واجبا وإنما الواجب الصبر، وإنما الرضا درجة عليا، ترضى بقضائه، والتوكل عليه، التوكل هو اعتماد القلب على الله جل وعلا بعد فعل السبب، الأسباب تنقسم إلى قسمين، أسباب شرعية جعلها الله جل وعلا أسبابا فعلى المسلم أن يفعلها ولا يتخلى عنها، وأسباب ممنوعة مثل أكل الربا، مثل السرقة وما أشبه ذلك، هذه أسباب لتحصيل المال، أو تحصيل المرادات، ولكنها أسباب محرمة، فإذا وقع فيها وفعلها فقد وقع في محرمات، قد تكون متعددة، وعليه أن يتمثل أمر الله جل وعلا ويفعل السبب المباح الذي أبيح له، ثم يعتمد قلبه في حصول المراد على ربه جل وعلا، هذا هو حقيقة التوكل عليه، ولا يتوكل على صنعته أو وظيفته أو على مثلا من يكون مخلوقا قد يبذل له شيئا، بل يتوكل على ربه جل وعلا ويعرف أن هذه كلها أسباب جعلها الله جل وعلا أسباب، وإلا فالتصرف كله لله جل وعلا، وإذا حصل له شيء على يد مخلوق يشكره على ذلك أنه سار سببا، ولكن يعلم أن هذا كله من الله جل وعلا، فالله جل وعلا هو المالك لكل شيء، ولا يقع في الكون حركة ولا سكون ولا شيء من الأشياء إلا بإذنه وإرادته جل وعلا، هذا حقيقة التوكل، ثم الرجاء لرحمته والخوف من ذنوبه، هذا أيضا من العبادة، بل هذين ركنا العبادة، الرجاء والخوف، لابد منهما، وأمثال ذلك: يعني أن أعمال القلوب كثيرة، وإنما هذا تمثيل منه.

ثم قال: وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية، يعني الغاية التي خلق الخلق له، الغاية من وجود المخلوق الذي هو محل للأمر والنهي، أما المخلوقات الأخرى فهي جعلت لهذا المخلوق الذي كرمه الله جل وعلا على كثير ممن خلق وهو ابن آدم، لهذا يقول جل وعلا: ﴿وخلق لكم ما في السماوات وما في الأرض﴾، كل ما في السماوات وما في الأرض مخلوق لنا لمنافعنا ومصالحنا، فضلا من الله جل وعلا، وليس استحقاقا على الله جل وعلا، ولهذا صار ابن آدم إذا عصى جزاءه جهنم، النار التي نسأل الله العافية، يكون خالدا فيها ما دامت السماوات والأرض، وكثير من الناس الذين عقولهم قريبة لأنهم يرون المحسوسات يستشكلون هذا الأمر، وليس هذا عقاب الإنسان، عقابه أن يبقى في النار يوم ولا يومين وكذا، وكذا ثم إلى أين؟ يقولون: يخرج ولو أن يعدم، هذا حكم على الله جل وعلا، وهو من ظلم ابن آدم، وابن آدم من أوصافه أنه ظلوم جهول، هذا وصف الإنسان ظلوم جهول، تصور إذا اجتمع الظلم والجهل ماذا يكون؟ لابد أن يتهذب ويتخلق بما جاءت به الرسل، وإلا عاد إلى طبعه، إلى كونه ظلوم جهول، وهو أيضا هلوع جذوع، وهو كذلك منوع، فهذه أخلاقه التي طبع عليها، فإن لم يتخلق بالأخلاق التي جاءت بها الرسل عاد إلى خلقه الذي هو أصله، ولهذا كان بعث الرسل من أعظم النعم من الله جل وعلا، لمن وفقه الله جل وعلا لإتباعهم، فهي الغاية المحمودة يعني العبادة التي يرضاها الله جل وعلا ويأمر بها، وأمره جل وعلا

المقصود به الأمر الشرعي، لأن أمره جل وعلا ينقسم إلى قسمين: أمر كوني وأمر شرعي، الأمر الكوني لا يلزم أن يكون مرضيا، ولا يلزم أن يكون موافقا للأمر الشرعي، قد لا يكون موافق، وهذا من حكمة الله جل وعلا، ولهذا وجدت المضادات، ولولا هذا ما حصل القتال في سبيل الله والجهاد وحصل جهاد الأعداء والمنافقين وغيرهم، الذي يحبه الله جل وعلا، وكذلك الشياطين من الإنس والجن، ثم ذكر الدليل على هذا قال: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، وبعدها: ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾، والآيات يرتبط بعضها ببعض، وإذا كملت ظهر المعنى تاما، فإن كان هذا استشكل هذه الآية بعض المتكلمين الذين ينظرون إلى ما تقتضيه عقولهم، قالوا: قول الله جل وعلا: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، خبر، وهذا الخبر جاء على خلاف الواقع، فالواقع أن العبادة لا تحصل من أكثر الناس، فأين مقتضى الخبر الذي يكون صدقا؟ يقول: فجاء الإشكال من هذه الناحية، لهذا أجاب الشيخ على هذا، أن هذه هي الغاية المرضية المحبوبة لله، يعني هذه الحكمة التي خلق من أجلها الخلق، ولا يلزم أن يكون خلقه أنه يجعلهم عابدين، وإنما هذا إليهم، أعطاهم عقولا وأفكارا وآيات تحيط بهم من فوق ومن تحت ويمين وشمال، وقال: الأمر إليكم، إن عبدتم، عبدتم الله واتبعتم أمره فلكم الجزاء الأوفى، وإن أبيتم واتبعتم مراداتكم فالجزاء أمامكم عقاب الله جل وعلا، ولهذا صار الجزاء مطابق

للعمل، إلا أن الله تفضل وجعل جزاء الحسنة عشر أمثالها أقل ما يكون، وإلا قد يتضاعف، وأما السيئة فلا يجزى إلا بمثلها بفضل الله جل وعلا، المقصود أن هذا الإشكال لا محل له في الآية الذي أوردوه.

ثم يقول: وبها، يعني بالعبادة التي هي الغاية المحبوبة لله جل وعلا، وهي أيضا الحكمة من خلق بني آدم و الجن، لأن الجن عقلاء، وهم أهل للتكليف، ولهذا من أطاع منهم جزي خير الجزاء، ومن عصى فهو في النار، فهي حكمة الله جل وعلا وأرسل الرسل بها، و الرسل جاءوا ليبينون أمر الله جل وعلا، لأن الله جل وعلا غيب ليس بينه وبين خلقه اتصال بالكلام والمشاهدة، ولهذا صار الإيمان ليس من كل أحد، من سبقت له الحسنى آمن بالغيوب والأخبار التي جاءت بها الرسل عن الله، فاستحق الجزاء الكبير، ومن صار نظره نظر حيواني قريب استولت عليه الشياطين من الجن والإنس، وصرفته عن هذا الأمر وكل ذلك بتقدير الله جل وعلا، وعلى الإنسان أن يكون سببا في هدايته بأن يقبل من جاء عن الله جل وعلا، ومن قبل من أول وهلة فإنه يجزى عن الحسنة حسنة، بزيادة العلم وزيادة الإيمان والعمل، وقال: أنه أرسلت بها الرسل، كما قال جل وعلا لنوح لقوله وهو أول الرسل: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾، وهكذا كل رسول يقول لقومه هذا القول: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾، لأنهم يعلمون أن الله هو الذي خلقهم، وهو الذي أوجد الأشياء كلها، لا إشكال عندهم في هذا، وإنما وقعوا في الشرك الذي هو العبادة

الصادرة منهم، توارثا لذلك، صار بعضهم يتبع بعضا ويوصي بعضهم بعضا في إتباع الآباء والأسلاف الذي سلكوا هذا المسلك، وهذه أكبر حجة يحتج بها المشركون على الرسل، ولهذا قال فرعون لموسى: ﴿فما بال القرون الأولى﴾، يعني أنهم خالفوك يعني وأنهم جاءوا بخلاف ما قلت، القرون التي مضت، هذا قول مثل قول الكفار: ﴿إنا وجدنا آبائنا على أمة﴾، يعني على طريقة وعلى ملة: ﴿وإنا على آثارهم مقتدون﴾، وهذا الذي يقوله كثير من الناس إذا قلت له: لا تفعل كذا وكذا، قال لك: كل الناس يفعلون هذا، نفس الطريقة بس الأسلوب يختلف، هو نفس الحجة، أنت الذي تخالف ولا غيرك من الناس يفعلون هذا كذا وكذا، وقد يقول مثلا: هذا تزمت وهذا تشدد وغيرك لا يقول هذا، وكل هذه حجة الكفار، الذين يقولون: وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون، ولكل سلف خلف، وكذلك قال هود، لأن هود جاء بعد نوح عليه السلام، وصالح وشعيب وغيرهم من الرسل، وجاء خاتمهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، بقول للناس: «قولوا لا إله إلا الله»، وهو معنى اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»، ثم ذكر دليلا عاما في مهمة الرسل التي كلفوا بها، قال: وقال الله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله﴾، يعني كل رسول يقول لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت،

فالطاغوت هو الشرك، وهو كل ما صد عن عبادة الله، وهو مأخوذ من الطغيان، ثم ذكر جل وعلا يقول: ﴿فمنهم من هدى الله﴾، فالهداية بيد الله، من، من الله عليه بالهداية اهتدى واتبع الرسل، ﴿ومنهم من حق عليه الضلالة﴾، يعني من وكل إلى نفسه وإلى نظره وعقله ضل ولابد، فالفضل لله جل وعلا إذا من على عبد يجب أن يشكر ربه، وإذا شكر زاده الله جل وعلا خيرا، وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾، فدل على أن دعوة الرسل واحدة، وأن كلهم يدعون إلى عبادة الله وحده، فالأديان التي جاءت بها الرسل كلها الإسلام وهو الاستسلام لله جل وعلا بالطاعة، وإتباع الرسل، وعبادته وحده، أما الشرائع فتختلف، وقوله جل وعلا: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾، معنى قوله: هذه أمتكم يعني دينكم، أمة هنا المقصود بها الدين، هذه أمتكم أمة واحدة يعني دينكم واحد وملتكم واحدة التي جاءت بها الرسل، وهي عبادة الله، ولهذا قال: ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾، قال جل وعلا: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم﴾، يعني دينكم وشرعكم الذي جاءت به الرسل: ﴿أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾، في الآية الأولى، وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يا أيها الرسول كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما

تعملون عليم﴾، هذا أمر المرسلين، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾»، فهذا الأمر الذي للمؤمنين كالأمر الذي للمرسلين ما فيه فرق، ثم ذكر الرجل الذي يطيل السفر يرفع يديه إلى السماء، يقول: « مغبرة قدماه شعث رأسه يرفع يديه إلى السماء يقول: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له»، لن يستجاب له لأنه يفعل هذه الأفعال يأكل حرام ويشرب حرام ويلبس حرام، لأن الله أمر أن يؤكل من الطيب، فدل على أن أكل الطيب أنه له أثر في العبادة بقبولها وردها، فالمقصود أن هذه الطريق الواحدة التي جاءت بها الرسل وهي دينهم، وهو الإسلام لله جل وعلا، والإنقياد له بالطاعة وإتباع الرسل، وجعل ذلك لازما لرسوله إلى الموت، فإذا كان لازما للرسول فغيره أولى، قال: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾، واليقين المقصود به هنا الموت، يعني استمر في عبادة الله ما دمت حيا مستطيعا، بعض الصوفية يقول: يأتيك اليقين يعني يأتيك العلم، فإذا جاءك العلم سقطت عنك العبادة، فإذا وصل إلى الحقائق صار غير مكلف، هذا من قلب الحقائق كما يقولون، بل هذا من الضلال الذي قد لا يظفر به الشيطان، فإذا ظفر به فرح بهذا فرح شديد، وبذلك وصف جل وعلا الملائكة ملائكته وأنبيائه، قال تعالى: ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾، الاستحسار معناه أنه يقصر في ذلك وتنعدم الرغبة، بل عندهم

الجد والاجتهاد في هذا، ولهذا قال: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾، وهذا تفسير لقوله: لا يستحسرون نعم.

القارئ: قال رحمه الله تعالى: [﴿إِن الَّذين عِنْد رَبك لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَته ويسبحونه وَله يَسْجُدُونَ﴾ .

وذم المستكبرين عَنْهَا بقوله [٦٠ غَافِر] : ﴿وَقَالَ ربكُم ادْعُونِى أَسْتَجِب لكم إِن الَّذين يَسْتَكْبِرُونَ عَن عبادتى سيدخلون جَهَنَّم داخرين﴾ .

ونعت صفوة خلقه بالعبودية لَهُ فَقَالَ تَعَالَى [٦ الْإِنْسَان] : ﴿عينا يشرب بهَا عباد الله يفجرونها تفجيرا﴾ وَقَالَ [٦٣-٧٧ الْفرْقَان] : ﴿وَعباد الرَّحْمَن الَّذين يَمْشُونَ على الأَرْض هونا وَإِذا خاطبهم الجاهلون قَالُوا سَلاما﴾ الْآيَات.

وَلما قَالَ الشَّيْطَان [٣٩-٤٠ الْحجر] : ﴿رب بِمَا أغويتنى لأزينن لَهُم فِى الأَرْض ولأغوينهم أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادك مِنْهُم المخلصين﴾ قَالَ الله تَعَالَى [٤٢ الْحجر] : ﴿إِن عبَادى لَيْسَ لَك عَلَيْهِم سُلْطَان إِلَّا من اتبعك من الغاوين﴾ .

وَقَالَ فِي وصف الْمَلَائِكَة بذلك [٢٦-٢٨ الْأَنْبِيَاء] : ﴿وَقَالُوا اتخذ الرَّحْمَن ولدا سُبْحَانَهُ بل عباد مكرمون لَا يسبقونه بالْقَوْل وهم بأَمْره يعْمَلُونَ يعلم مَا بَين أَيْديهم وَمَا خَلفهم وَلَا يشفعون إِلَّا لمن ارتضى وهم من خَشيته مشفقون﴾ وَقَالَ تَعَالَى [٨٨-٩٥ مَرْيَم] : ﴿وَقَالُوا اتخذ الرَّحْمَن ولدا لقد جِئْتُمْ شَيْئا إدا تكَاد السَّمَاوَات يتفطرن مِنْهُ

وتنشق الأَرْض وتخر الْجبَال هدا ۙ أَن دعوا للرحمن ولدا ۙ وَمَا يَنْبَغِي للرحمن أَن يتَّخذ ولدا ۙ إِن كل من فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض إِلَّا آتِي الرَّحْمَن عبدا ۙ لقد أحصاهم وعدهم عدا ۙ وَكلهمْ آتيه يَوْم الْقِيَامَة فردا ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى عَن الْمَسِيح الَّذِي ادعيت فِيهِ الإلهية والبنوة [٥٩ الزخرف] : ﴿ إِن هُوَ إِلَّا عبد أنعمنا عَلَيْهِ وجعلناه مثلا لبنى إِسْرَائِيل ﴾ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي الحَدِيث الصَّحِيح " لَا تطروني كَمَا أطرت النَّصَارَى عِيسَى ابْن مَرْيَم فَإِنَّمَا أَنا عبد فَقولُوا عبد الله وَرَسُوله ".

وَقد نَعته الله بالعبودية فِي أكمل أَحْوَاله فَقَالَ فِي الْإِسْرَاء: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أسرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ وَقَالَ فِي الإيحاء [١٠ النَّجْم] ﴿ فَأوحى إِلَى عَبده مَا أوحى ﴾ وَقَالَ فِي الدعْوَة [١٩ الْجِنّ] ﴿ وَأَنه لما قَامَ عبد الله يَدعُوهُ كَادُوا يكونُونَ عَلَيْهِ لبدا ﴾ وَقَالَ فِي التحدي [٢٣ الْبَقَرَة] ﴿ وَإِن كُنْتُم فِى ريب مِمَّا نزلنَا على عَبدنَا فاتوا بِسُورَة من مثله ﴾].

الشيخ: من تمام المعنى الماضي، أن هذا لا يخلوا منه مخلوق، حتى الملائكة فهم أمروا بعبادة الله جل وعلا والخضوع له قاموا بهذا كما أخبر الله جل وعلا عنهم، والملائكة من الغيوب، من الغيب الذي يخبرنا الله جل وعلا به، ولا لا يشاهدون، ولهذا لما اقترح الكفار أن يكون الرسول ملك، أخبر أن الملائكة غير منظورين، وأنه لو قدر أن يأتيهم رسول ملك من الملائكة لجعل بشر والتبس

علـيهم الأمـر: ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾، يعني قالوا: هذا ليس ملك هذا بشر، لأنهم لا يستطيعون مخاطبة الملك، ولهذا كان الرسول ﷺ إذا جاءه الملك بصورته صار صعب جدا عليه تلقي الوحي منه، يتغشاه أمر شديد، حتى في الوقت الشاتي شديد البرد يصبح يتصبب منه العرق صلوات الله وسلامه عليه، أما إذا جاءه بصورة بشر فهو من اسفله يخاطبه كما يخاطب البشر، فأنواع الوحي أشدها أن يأتي الملك للرسول ﷺ على صورته وحالته، وهو لا يراه أيضا، بل قد يراه على صورة غير صورته، وإنما قد يكون رؤيته على صورته في حالتين فقط التي رآه فيها، مرة في الأرض ومرة في السماء، فأصيب بالرعب صلوات الله وسلامه عليه مما رآه على صورته الحقيقية، وكذلك غيرهم من الخلق كلهم كلفوا بالعبادة، ولكن العبادة قد تكون عبادة أصلية، ليس للعابد فيها اختيار، وقد تكون اختيارية، والاختيارية هي النافلة التي يفعلها عن اختياره وعن مقدورة هي التي يجزى عليها، وأما الأصلية فكل من في السماء ومن في الأرض فهو آتي الرحمن عبدا، يعني عابد يأتيه ذليلا تجري عليه أقداره، وأمره الكونية لا حيلة له في ذلك، فهذا لا ينفع، إنما تنفع العبودية إذا صدرت من العبد باختياره ومقدوره، ومعنى ذلك أن كلمة عبد تنقسم إلى قسمين، عبد بمعنى عابد، وعبد بمعنى معبد مذلل مسخر، فهذا لا يخرج منه أحد، وإنما الذي ينفع العبد الذي يكون بمعنى العابد الذال الخاضع الذي يتبع أمر الله جل وعلا، فهذا يشمل العقلاء من الملائكة ومن البشر ومن الجن،

وذكره في القرآن كثير، وهو المراد بأمر الله جل وعلا، والمراد بإرسال الرسل إلى الناس في هذا، ذكر الآيات التي تدل عليه، ثم قال: وقال تعالى عن المسيح الذي ادعيت فيه الإلوهية والنبوة، أما النبوة فلا إشكال فيها، ولكن المقصود الإلهية، والإلهية معناها التأله والتعبد أنه إله، وإذا جاءت الإلهية أو جاءت الروبية مفردة دخل فيها المعنى الثاني وإلا لكل واحدة معنى كما سيأتي إن شاء الله، قال جل وعلا: ﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرايل﴾، المثل المقصود به هنا الآية، كان آية لهم، لأن الله جل وعلا نوع خلقه ببني آدم أربعة أنواع، خلق أصلهم من التراب، وهذا لبيان قدرته جل وعلا على كل شيء، وخلق زوج آدم منه، بضعة منه، أحد ضلوعه فخلقت زوجة كاملة، نام نومة فلما استيقظ فإذا هي جالسة عنده خلقت من بضعة منه، هذا أيضا من الآيات العجيبة، آيات الله جل وعلا، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، ولهذا ادعى فيه أهل الضلال والمحال أنه الله أو ابن الله أو أنه شريك لله ثالث ثلاثة، قالوا: الله وعيسى وأمه، تعالى الله وتقدس عن قول هؤلاء، ولا يزال هؤلاء يكون هذا الباطل الذي هو من المحال، والذي لا تستسيغة لا عقول ولا فطر، لهذا ذكر الله جل وعلا مبدأ في سورة مريم، ذكر قصة مريم، وذكر أنه تمثل لها جبريل عليه السلام بشرا سويا، استعاذت بالله، أعوذ بالله منك إن كنت تقيا، لأنها ظنت أنه بشر، وأنه يريد شر، فقال: ﴿إنى رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾، يعني جئتك بأمر من الله، فتعجبت كيف يكون لي ولد وليس لي

زوج ولم يمسسني بشر؟ قال: هذا أمر قضاه الله جل وعلا، ثم لما جاءت به صار يكلمها من تحتها، لأنها قالت: ﴿يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا﴾، لأن الأمر شديد في هذا، ما يصدقونها، فناداها من تحتها قال: ﴿ألا تحزنى وهزى إليك بجذع النخلة يساقط عليك رطبا جنيا فإما ترين من البشر أحد فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا فأتت به تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا﴾، أمر شديد عظيم، أشارت إليه ما تكلم، أشارت إليه قالت: كلموه إشارة، قالوا: ﴿كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾، انظر كيف؟ أول كلمة نطق بها لما قابلهم ماذا قال؟ ﴿إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا﴾، ومع ذلك كله يقولون: هو الله، لأنهم لا يتبعون الوحي الذي جاءت به الرسل، فالمقصود أنها ادعيت فيه الإلهية، يقول الرسول ﷺ عند قول الله: ﴿إن هو إلا عبد﴾، يعني تعبده الله جل وعلا بالعبودية وكلفه ذلك، ليس لا مشاركا لله وليس ابنه تعالى الله وتقدس فهو الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، قال الرسول ﷺ: «لا تطروني»، اطروني يعني لا تمدحوني بالباطل، والإطراء هو الزيادة في المدح والثناء، وهذا لا يزال في لغة الناس، أن فلان يطرى فلان يعني زاد في مدحه، «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»، هكذا عبد، قولوا لأنه مقول القول، قولوا عبد الله ورسوله يعني هو عبد، ويجوز بالرفع يعني هو عبد الله، أو أنا عبد الله ورسوله، فكيف بمن يقول

مثلا يخاطب الرسول يقول: يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم، ما هو الحادث العمم؟ الحادث العمم الذي يعم الناس يعني يوم القيامة، الذي يعم كل أحد، إن لم تكن في معادي آخذا بيدي فضلا وإن فقل يا ذلة القدم، ثم يقول: ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم، فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم، ماذا بقي لله؟ إذا كان من جملة جوده الدنيا والآخرة، ومن جملة علومه علم اللوح والقلم الذي خط فيه كل شيء، واللوح حفظ فيه كل شيء، ما هذا نسأل الله العافية الإطراء، هذا الإطراء الذي حذر منه الرسول ﷺ، وهذا كثير جدا في الشعراء صار حظهم من رسول الله ﷺ الكذب، والمدح الذي يرضى به الشيطان ويغضب منه رسول الله ﷺ، فالمقصود أن العبادة يجب أن تكون لله وحده، لا يشاركه فيها لا نبي ولا ملك ولا ولي ولا دونهما من الخلق، فمن شرك أحدا من المخلوقين مع الله جل وعلا في العبادة فقط ظلم وتعدى واستحق عقاب الله جل وعلا، يقول: وقد نعته الله، يعني نعت رسوله الذي هو خاتم الرسل محمد ﷺ، بالعبودية في أكمل أحواله التي يثني الله جل وعلا بها عليه، قال جعل وعلا: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾، إلى عبده، وإضافته إليه لأن له عبودية خاصة، قد كمل مقامها لربه جل وعلا، فهذا من أفضل خطاب الله جل وعلا وأكمله، وكذلك في النعم التي ينعم بها عليه، فالوحي نعمة كبرى حين خصه به ليبلغها إلى عباده، وكذلك الإسراء، الإسراء من

الأمور العجيبة التي اقتضت التسبيح: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾، أسرى به يعني حمله في وقت قصير وجيز، ثم صعد من بيت المقدس إلى السماء بصحبة جبريل، حتى وصل إلى السماء السابعة التي يقول الله جل وعلا فيها في سنين أن الوحي يأتي الأمر يأتي من السماء إلى الأرض في مسافة مقدارها ألف سنة، وقد جاء ما هو أكثر من هذا، مقدارها خمسين ألف سنة، وهذا على حسب السير في أقوال المفسرين والله أعلم، والمقصود أن هذا من أشرف المقامات التي يقومها عبد الله ورسوله ﷺ، وكذلك مقام الدعوة، إنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا، ومقام التحدي: ﴿إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾، فهذه المقامات الأربع من أشرف مقامات الرسول ﷺ ذكره الله جل وعلا بلفظ العبودية، لأنه قام بعبودية ربه جل وعلا فكملها، الدين كله داخل في العبادة، ومن زعم أنه يمكنه أن يخرج عن العبادة التي جاء بها الرسول فهو كافر بالله جل وعلا، مفارق لما عليه المؤمنين، نعم.

القارئ: قال رحمه الله تعالى: [وَقد ثَبت فِي " الصَّحِيح " أَن جِبْرِيل لما جَاءَ إِلَى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي صُورَة أَعْرَابِي وَسَأَلَهُ عَن الْإِسْلَام قَالَ: " الْإِسْلَام أَن تشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَن مُحَمَّدًا رَسُول الله وتقيم الصَّلَاة وتؤتي الزَّكَاة وتصوم رَمَضَان وتحج الْبَيْت إِن اسْتَطَعْت إِلَيْهِ سَبِيلا " قَالَ: فَمَا الْإِيمَان؟ قَالَ: " أَن تؤمن بِاللَّهِ وَمَلَائِكَته وَكتبه وَرُسُله والبعث بعد الْمَوْت وتؤمن بِالْقدرِ خَيره

وشره " قَالَ: فَمَا الْإِحْسَان؟ قَالَ: " أَن تعبد الله كَأَنَّك تراهُ فَإِن لم تكن تراهُ فَإِنَّهُ يراك " ثمَّ قَالَ فِي آخر الحَدِيث: " هَذَا جِبْرِيل جَاءَكُم يعلمكم دينكُمْ "].

الشيخ: يعني أن الدين أنواع، فالإسلام والإيمان والإحسان هو الدين، فهو معناه أنها درجات بعضها أعلى من بعض، فالإسلام فسره في هذا الحديث بالأعمال الظاهرة التي هي ظاهرة بالجوارح، الصلاة وأداء الزكاة والحج والصوم، وهذه أعمال تعمل ظاهرا، ولابد من مزاولتها بالبدن، وفسر الإيمان بالأعمال التي تكون في القلب، كالعقائد، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره»، وكذلك الإحسان فسره بغاية ما يمكن أن يأتي به المرء من إحسان العمل، يعني تزكيته وإتمامه بأكمل الوجوه، هذا الإحسان يشمل كل ما ذكر من أعمال القلوب والجوارح، وليس كل عبد يستطيع أن يأتي بهذا، دل على عباد الله جل وعلا يختلفون في أداء أمر الله جل وعلا، ولهذا اختلفت منازلهم عند الله جل وعلا، اختلفت رتبهم في الآخرة في الجنة، في صحيح البخاري يقول ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة، ما بين درجة وأخرى مثل ما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله»، يعني فقط للمجاهدين، هناك درجات أخرى غيرها، فكونه مسألة المجاهدين مائة درجة، ما بين كل واحدة والأخرى مثل ما بين السماء والأرض، يعني لابد أن يكون هذا التفاوت لتفاوت ما في القلوب ما في الجوارح، لأن الله جل وعلا يجزي عباده على أعمالهم التي يعملونها امتثالا لأمره، فالإحسان يشمل كل

عمل يأتي به الإنسان كلف به وأمر به، بأن يأتيه على الوجه الأحسن الأكمل الأتم، ولهذا جعله على درجتين قال: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**»، معلوم أن هذه الدرجة، إذا عبد الإنسان ربه وهو يشاهده، ما يمكن يدخر وسعا في إحسان العمل، فإذا لم يصل إلى هذه الدرجة تجد الدرجة الأخرى يعبده على العلم، فإن لم تكن تشاهده فتعبده على أنه يشاهدك، ينظر إليك، معلوم أن الإنسان أيضا إذا تحقق هذا الشيء واستحضره، أنه أيضا يحسن العمل، لكن لا يكون كالدرجة ا لأولى، فدل على أن هذا أعلى المقامات، من الدين، وكله دين لله جل وعلا، فالإيمان والإسلام والإحسان، ومعلوم أنه يشمل كل ما جاء به الرسول ﷺ، قوله: «**هذا جبريل جاء يعلمكم أمر دينكم**»، مما يدل على أن جبريل عليه السلام يأتي بأمر الله الذي يأمره الله جل وعلا به نعم.

القارئ: قال رحمه الله تعالى: [وَالدّين يتَضَمَّن معنى الخضوع والذل يُقَال دنته فدان أي أذللته فذل وَيُقَال يدين الله ويدين لله أَي يعبد الله ويطيعه ويخضع لَهُ فدين الله عِبَادَته وطاعته والخضوع لَهُ.

وَالْعِبَادَة أصل مَعْنَاهَا الذل أَيْضا يُقَال طَرِيق معبد إِذا كَانَ مذللا قد وطئته الْأَقْدَام.

لَكِن الْعِبَادَة الْمَأْمُور بهَا تَتَضَمَّن معنى الذل وَمعنى الْحبّ فهى تَتَضَمَّن غَايَة الذل لله بغاية الْمحبَّة لَهُ].

الشيخ: يعني هذا التعريف شرح للتعريف الماضي، ولكن قصده يقول: الدين يتضمن معنى الخضوع والذل في اللغة، وكذلك ما ذكره بعد هذا، ومعلوم أن كتاب ربنا جل وعلا الذي أنزله علينا، وكذلك خطاب رسولنا لنا أنه باللغة العربية، وهذا من نعم الله التي من بها علينا، ولهذا قال: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾، يعني قومه الذين بعث بلسانهم، والمقصود بالذكر هنا الشرف، يعني شرف لك وشرف لقومك أنه نزل بلسانكم، لأنه يصعب على العجم أن يتعلم اللغة، ثم كيف يفهم ما خوطب به، مع أن هذا أمر واجب، كما ذكر العلماء أنه يجب على كل مسلم أن يتعلم لغة الرسول ﷺ، حتى يعرف أمره ونهيه، لأنه أمر واجب والناس الآن يتساهلون بأمر اللغة، اللغة العربية كثيرا، وقد يحتقرون من يتعلمها ومن يأمر بذلك، وكل ذلك من تأثيرات الكفار، وكذلك أذناب الكفار الذين يدعون إلى نبذ الدين الإسلامي واستبداله بالأديان الأخرى التي أديان الأوضاع والشياطين، شياطين الإنس وشياطين الجن، وهذه من البلاوي التي يبتلى به الخلق، حتى يتبين من يثبت على الحق ومن ينتكث أو يتأثر بالباطل، فلابد في هذه الدنيا من الجهاد، ولابد من الابتلاء والامتحان حتى يتبين الصادق من الكاذب، وإذا ثبت الإنسان في الامتحان ونجح، فإنه يكرم أو يهان عند الرسوب والإخفاق، فالمقصود أن الدين يتضمن الذل والخضوع، ومعناه كذلك أن العبادة هي الذل والخضوع، ولهذا يقال: طريق معبد ولا تزال هذه اللغة موجودة عند الناس، وإذا كان

مسلوكا ذالا تحت الأقدام ليس فيه اعوجاج وليس فيه صعوبة، ثم سمي معبدا، والعبادة أصل معناها الذل لله جل وعلا والخضوع، كما أن الدين قال: دنته فدان، فالدين معناه أيضا أن يجزى بالعمل الذي يعمله، ويطلق على نفس العمل، لكن العبادة المأمور بها تتضمن الذل مع الحب لابد، أما ذل بلا حب قد يكون الإنسان يذل لإنسان وهو قبله يلعنه، هذا لا يكون عباده، وإنما يذل لأنه يخاف منه لأن بطشه وذله وكذلك الخوف قد يخافه وقلبه يلعنه، فهو أبغض الناس إليه، وإنما إذا جاء الذل مع الخوف واجتمعها صار عبادة من العبادة، فلابد من اجتماع الذل والخوف في عبادة الله جل وعلا، والعبادة من خصائص الله جل وعلا وحقوقه التي يجب أن تخلص لله جل وعلا نعم.

القارئ: قال رحمه الله تعالى: [لَكِن الْعِبَادَة الْمَأْمُور بهَا تَتَضَمَّن معنى الذل وَمعنى الْحبّ فهى تَتَضَمَّن غَايَة الذل لله بغاية الْمحبَّة لَهُ.

فَإِن آخر مَرَاتِب الْحبّ هُوَ التتيم وأوله العلاقة لتَعلق الْقلب بالمحبوب ثمَّ الصبابة لانصباب الْقلب إِلَيْهِ ثمَّ الغرام وَهُوَ الْحبّ الملازم للقلب ثمَّ الْعِشْق وَآخِرهَا التتيم يُقَال تيم الله أَي عبد الله فالمتيم المعبد لمحبوبه.

وَمن خضع لإِنْسَان مَعَ بغضه لَهُ لَا يكون عابدا لَهُ وَلَو أحب شَيْئا وَلم يخضع لَهُ لم يكن عابدا لَهُ كَمَا قد يحب الرجل وَلَده وَصديقه وَلِهَذَا لَا يَكْفِي أَحدهمَا فِي

عبَادَة الله تَعَالَى بل يجب أَن يكون الله أحب إِلَى العَبْد من كل شَيْء وَأَن يكون الله عِنْده أعظم من كل شَيْء بل لَا يسْتَحق الْمحبَّة والخضوع التَّام إِلَّا الله. وكل مَا أحب لغير الله فمحبته فَاسِدَة وَمَا عظم بِغَيْر أَمر الله فتعظيمه بَاطِل. قَالَ الله تَعَالَى [٢٤ التَّوْبَة] : ﴿قل إِن كَانَ آباؤكم وأبناؤكم وَإِخْوَانكُمْ وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إِلَيْكُم من الله وَرَسُوله وَجِهَاد فِي سَبيله فتربصوا حَتَّى يَأْتِي الله بأَمْره﴾].

الشيخ: ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾، يعني أن هذه التي ذكرت هي الدنيا، فكانت الدنيا أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فأنتم فسقة، فتربصوا عقاب الله، هذا معناه، ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها﴾، والاقتراف هو التحصل حصلتموها بالكد والعمل، ومحبة ذلك، وتجارة تخشون كسادها، الكساد هو الرغبة فيها وألا تكون أيضا لها أثمان مرغوب فيها، تخشون كسادها ومساكن ترضونها، يعني مهيئة ومزوقة ومزينة، أحب هذه الأمور كلها، إذا كانت أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا، انتظروا ماذا يكون لكم؟ فتربصوا يعني انتظروا حتى يأتي الله بأمره، وهذا هو عذاب عاجل، ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾، دل على أن هذا خروج عن طاعة الله جل وعلا وأنه من الفسق وهو الخروج عن طاعة الله جل وعلا، والمقصود

أن محبة الله التي تتضمن الذل والتعظيم يجب أن تكون مقدمة على كل شيء، ولا يوجد في الكون يحب لذاته إلا الله تعالى وتقدس، أما المخلوقات كلها فإذا أحبت فهي لمعاني، معاني تتعلق بها، وأمور ومنافع تتعلق بها وليست لذاتها، فالمخلوق كونه دم ولحم وعظام ما يحب لأنه دم ولحم وعظام، وإنما يحب للصفات التي يأتي بها، فإذا كان عبدا لله يحب لأنه يعبد الله، والله يحبه وأنت تحب من يحب محبوبك، فإذا كان عدوا لله فأنت تبغضه لأجل ذلك، ولهذا يقول الله جل وعلا في خطابه لنبيه: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد﴾، فتميز بالصفات بأنه يوحى الله جل وعلا إليه، وإلا فهو بشر ولد من ذكر وأنثى، يشرب ويأكل كما نشرب ونأكل، وإنما فضله الله جل وعلا بالوحي، وكونه تعبده بعبودية كاملة، هكذا كل مخلوق يجب أن يكون على هذا المنوال نعم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد.